المحاضرة 2: تاريخ الوقائع الإقتصادية في ظل النظام المشاعي(البدائي)

أولا: مفهوم المشاعية البدائية

تعد المشاعية البدائية أول نظام اقتصادي اجتماعي في التاريخ، وكانت وسائل الإنتاج التي استخدمها الإنسان بسيطة وبدائية كالعصا أو الحجر، كما كانت مهارات العمل وخبرة الأفراد ومعرفتهم قليلة جداً، لذلك لم يكن في مقدور الأفراد مواجهة الطبيعة إلا بتجميع جهودهم وتضافرها، وقد عاش الأفراد في مشاعات قبلية متوحدين على أساس قرابة الدم، وكانت المحاصيل القليلة التي لا تكاد تفي بحاجة الإنسان توزع بين أفراد المشاعة توزيعاً متساوياً، فكانت وسيلة الإنتاج الرئيسة هي الأرض، وكان نمط الإنتاج تعاونياً وجماعياً.

ثانيا: الخصائص العامة لأسلوب الإنتاج البدائي

1-أسباب تطور الإنتاج البدائي: يتميز الإنتاج البدائي بتدني في مستوى قوى الإنتاج وأدوات العمل، لذلك سعى الإنسان لتطورها وقد تطلب ذلك آلاف السنين، إذ تحقق له ذلك من خلال:

- اكتشاف النار الذي سمح له باكتشاف مصادر جديدة للغذاء، وللوقاية من البرد، وكذلك صنع بعض الأدوات المنزلية مكنته من توسيع موارد الطعام وزيادة الإنتاج.
- اكتشاف بعض المعادن كالبرونز والحديد.
- اكتشاف أدوات الصيد ومن أهمها القوس، الأمر الذي زاد من مصادر الغذاء وساعد على تربية الحيوانات بعد اصطيادها، وقد وفرت تربية الحيوانات الغذاء والمواد الأولية.
- تعلم مبادئ الزراعة والفلاحة، فقد كان الشعير والذرة والقمح أول المزروعات مما أدى لاحقا إلى إنفصال الزراعة عن الصيد.
- تربية الحيوانات وبالذات المواشي مما كان له الأثر البالغ على إمكانية الإنسان في استخدام الماشية كمصدر لغذائه من جهة، وكمصدر لمتطلبات حياته من جهة أخرى.

2-علاقات الانتاج في المجتمع البدائي:

بما أن الفرد لا يقوم بمفرده بعملية الإنتاج لأنها تنشأ في صورة علاقات بين الأفراد فهنا يجدر بنا حصر علاقات الإنتاج في القانون الاقتصادي الأساسي لنظام إنتاج المشاعية البدائية وهو (ضمان وسائل المعيشة الضرورية للإنسان بالاعتماد على أدوات إنتاج بدائية وعلى أساس مشاعية تملك وسائل الإنتاج العمل الجماعي وطريقة التوزيع المتساوي للمنتجات) ومن هذا القانون يمكن استنتاج ما يلي:

أ – **السمة الأولى** تتميز علاقات الإنتاج في المجتمع البدائي بالعمل الجماعي الذي يأخذ شكل التعاون البسيط، حيث يقوم كل أفراد العشيرة بالعمل بطريقة جماعية دون أن يكون هناك تخصص أو تقسيم عمل.

ب –**السمة الثانية** هو الملكية الجماعية لوسائل الإنتاج، حيث ترتبط ارتباطا وثيقا بالسمة الأولى (العمل الجماعي) والتعاون البسيط (اذ كانت الأرض وجميع الموجودات) أي أدوات العمل ملكا للجميع.

ج – ثمار العمل من المواد الاستهلاكية (كانت مشتركة) للأسباب السابقة.

د – طريقة التوزيع هي المساواة للأسباب السابقة أيضا.

ثالثا: التنظيم الإجتماعي والتقسيم الطبقي في المشاعية البدائية

1–التنظيم الاجتماعي – نظام العشيرة– :كانت العشيرة تمثل الوحدة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي يقوم عليها المجتمع البدائي ويذكر أن المرأة احتلت مكانة مرموقة ولعبت دورا هاما في المرحلة الأولى للنظام العشيري وذلك بسبب شروط الحياة المادية نفسها.

وقد تعاظم دور المرأة إلى أن أصبح النسل ينسب إليها سميت هذه المرحلة **بنظام العشيرة الأمومية** إلا أن تطور القوى المنتجة وظهور التدجين المتطور والمراعي والزراعة المتطورة(والتي كانت من اختصاص الرجل) أدى إلى انقلاب الموازين وانتقلت السيادة من المرأة إلى الرجل وأصبح النسل ينسب إليه **وحل نظام العشيرة الأبوية** محل العشيرة الأمومية.

2–التقسيم الاجتماعي للعمل:

ارتبط التقسيم الاجتماعي للعمل مع ظهور كل من الزراعة والرعي، حيث حصل تخصص في العمل(تقسيم للعمل) على أساس المشاعيات، وكان أول تقسيم اجتماعي كبير للعمل هو تقسيم العمل على أساس المشاعيات والذي يتألف من قبائل الرعاة وقبائل الزراعة وهو ما زاد في إنتاجية العمل لحد كبير.

3–ظهور الملكية الخاصة والطبقات:

ويمكن القول عند التكلم عن الملكية الخاصة والطبقات أننا بصدد التكلم عن مرحلة جد متقدمة من النظام المشاعي(تكاد تكون بمثابة مرحلة انتقالية بين النظام المشاعي ونظام الرق)، فبعد التطور الحاصل على مستوى أدوات العمل أصبح العمل أكثر إنتاجية وهو الأمر الذي لم يعد يستدعي العمل بطريقة جماعية على مستوى العشيرة، فإرتفاع الإنتاجية سمح بالإنتاج في الزراعة والرعي والحرف على نطاق اجتماعي أضيق من العشيرة وهو الأسرة التي أصبحت الوحدة الاقتصادية والاجتماعية الجديدة في المجتمع، وبهذا أفسح العمل الخاص على نطاق الأسرة المجال تدريجيا للحلول محل العمل الجماعي المشترك وهو ما أدى إلى ظهور الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج.